

Revue des  
lettres et de traduction. — N° 1 (1995), ٢٦-٣. ص.  
طانيوس نجيم. — في / الترجمة واجب قومي على العرب

I. Traduction II. Traducteurs — Moyen-Orient

PER L1037 / FL70584P

## الترجمة واجب قومي على العرب<sup>١</sup>

الدكتور طانيوس نجيم

الجامعة اللبنانية

الترجمة ظاهرة ثقافية قديمة العهد بين البشر، مردها إلى أن الانسان إجتماعي في طبعه منفتح على الغير متطلع الى ما بعد آفاقه والى عوالم وراء عالمه. كثيرون هم الفلاسفة الذين حددوا الانسان بالكائن الاجتماعي من ارسطو<sup>٢</sup> الى ابن خلدون<sup>٣</sup> حتى التيارات المعاصرة مثل الظاهرية والوجودية والبنوية التي تلتقي على تحديد الانسان بالكائن العلائقي، مما يكرس دور الترجمة على مختلف أنواعها كوسيلة بديهية للوصل بين البشر افراداً وجماعات. "تعتبر الترجمة اليوم من أهم روافد الثقافة ... إنها النافذة التي تفتحها الشعوب

---

١ ورقة قدمت إلى الندوة الدولية الأولى للتواصل بين الثقافات : الترجمة والإعلام، التي انعقدت في طنجة (المملكة المغربية) من ١٤ إلى ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٩٤. نشرها في مجلة الآداب والترجمة بنصها الكامل والمنقح.

٢ من مرتكزات فكر أرسطو الفيلسوف اليوناني ان الانسان "كائن سياسي".

٣ من مرتكزات فكر ابن خلدون الرائد في علم الاجتماع ان الانسان "كائن اجتماعي".

المختلفة لتستضيء بنور غيرها".<sup>٤</sup>

عرف العرب ظاهرة الترجمة في سالف العصور مغدقين التقدير والاعتبار والمكافآت على اعلامها فاستفاد علماء السريان من هذا الانفتاح وأفادوا المجتمع العربي ناقلين إليه أهم مؤلفات اليونان من الفلسفة والآداب والعلوم. ولم يكن هذا الانفتاح بالغريب فقد اهتم النبي محمد شخصياً في مستهل الدولة الاسلامية بأن يعرف مسلمون لغات أجنبية للتعامل مع غير العرب فكلف جماعة من الصحابة بتعلم لغتي الفرس والروم. ومع انتشار العرب في الاقطار المجاورة اتسع مفهوم التعريب فضم الآداب والعلوم والفنون، وقامت مؤسسات عديدة لتوفير متطلباته كبيت الحكمة ودار العلم والبيمارستان والمدرسة والمرصد الفلكي ... وغيرها، ووضعت قواعد لجمع المعلومات ونقدها، ولترجمة والتأليف في شتى العلوم ... وهكذا اغتنت المكتبة العربية بالكتب المترجمة والمؤلفة والمعاجم والتصانيف والادوات والوسائل، وازدهرت الثقافة العربية - الاسلامية ايما ازدهار ... وحين عزم محمد علي باشا - في مصر - على الاستقلال عن الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر، أطلق عملية تعريب جديدة، فأقام نظام تعليم حديث، وأوفد المبعوثين الى ديار الغرب، واستقدم

٤ لطيف زيتوني، حركة الترجمة في عصر النهضة، دار النهار، بيروت، ١٩٩٤، ص ١١

٥ عبد القادر زياديه، دور الإسلام والعربية لغة وثقافة في تكوين مقومات القومية العربية وفي بعث الوعي القومي

العربي، في كتاب القومية العربية والإسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨١ ص ١١١.

المدرسين الاجانب، وأنشأ داراً للترجمة، وشجع التأليف<sup>٦</sup>.

من الطبيعي في إطار هذه الذهنية المنفتحة أن تكون الترجمة قد ازدهرت وأثمرت خير إنتاج حضاري. كما من الطبيعي الا يبخل العرب بدورهم على غيرهم من الشعوب. ولذلك رأيناهم يمدون الغرب بما طوّرتة عبقريتهم من تراث الانسانية الفكري مسهمين بذلك في نهضة الغرب التي ما لبثت أن انعكست على الانسانية بأسرها والتي لا يزال البشر حتى اليوم يعيشون أجواءها ويحصدون نتائجها. أغنت الترجمة الانسان أينما كان. في الواقع "لقد عرف العرب الترجمة كما عرفها سائر الشعوب وكما نقلوا حديثاً عن الغرب نقل الغرب عنهم في الماضي ثمار الحضارة العباسية، ونقل العباسيون بدورهم عن الفرس والنساطرة ما كان نقله هؤلاء وطوّروه من آداب الفرس وعلوم اليونان"<sup>٧</sup>.

أما أسباب الترجمة عند العرب فكثيرة. إهتم العرب بالترجمة سداً لحاجاتهم الدينية والعلمية والعمرانية والسياسية كما اهتموا بها إشباعاً للذوق وإنشاداً للثقافة. وهم اليوم أكثر من أي وقت مضى بأمر الحاجة إليها لا سيما على الصعيد الاعلامي .

٦ أ. د. ملكة أبيض، تعريب التعليم العالي: تنمية لغوية وثقافية، في مجلة "التعريب" السنة الثالثة، العدد الخامس

- حزيران ١٩٩٣ ص ١٤.

٧ لطيف زيتوني، المرجع نفسه ... ص ١١.

في لبنان مثلاً مع نشأة "الصحف والمجلات"، انطلقت حركة الترجمة بقوة وزخم، فقد كان محررو هذه الصحف والمجلات يلمون بالفرنسية بصورة عامة وأحياناً بالانكليزية، وكانوا يرجعون إلى الصحف والمجلات الاجنبية ناقلين أو مقتبسين، فصادفوا في أثناء نقلهم أفواجاً من الكلمات التي لا يعرفون مقابلاً لها في العربية، فكان لزاماً عليهم، لسدّ هذا النقص، أن يقوموا بدور اللغويين (...). الترجمة العلمية أو الادبية لم تكن أصعب بكثير من ترجمة المواد الصحفية مثلاً. فهذه تتطلب سرعة في النقل وتفرض على المترجم أن يضع فوراً المصطلح المناسب للمعنى الجديد دون أن يكون لديه الوقت الكافي للتفكير والمراجعة. زد على هذه مشكلة القراء، هؤلاء الذين يتعيّن على المترجم الصحفي أن يراعيهم في ما يكتب أو حين يضع مصطلحاته ... إذا كان للمؤلف كل الحرية في اعتماد الاسلوب الذي يراه، فإن الصحفي مقيد بالحوار المستمر مع قرائه، بأسئلتهم وآرائهم ومطالبهم وبتقويمهم لما يكتب، وبإقبالهم على شراء جريدته أو مجلته. لهذا مال محررو الجرائد والمجلات إلى السهولة مضحين بعلوم العربية في سبيل العلوم العصرية والفنون الحديثة<sup>٨</sup>. كأنما التبسيط من مستلزمات العمل الاعلامي. وما ينطبق على الصحفي والمحرر في المجلة من الشروط لتأمين المفيد والممتع الطريف، كم ينطبق اليوم بمزيد من الإلحاح والخطورة على متلقّي الاخبار في محطة الإذاعة ومعدّي النشرة ومذيعي الأخبار !

لا مجال اليوم لكل هؤلاء، إن أرادوا القيام بعملهم على أحسن وجه، إلا ان يتقنوا فن الترجمة بحيث يستطيعون إنجاز الترجمة الفورية في المقابلات الإذاعية الحية والبث المباشر. أدنى شروط عملهم الاعلامي أن يواكبوا مسيرة الاحداث والابخار العالمية والاقليمية ليتمكنوا مستمعهم ومشاهدتهم وقراءهم من معرفة ما يجري حولهم وفي العالم على مختلف الصعد وفي كافة الأزمنة لا سيما في زمانهم الحاضر. هؤلاء الاعلاميون صلة الوصل بين مجتمعاتهم ومسيرة الانسانية الحضارية. واتقانهم الترجمة شرط من شروط توفيرهم الاعلام الصحيح والسريع.

بالفعل عندما يفتقر شعب للمترجمين من أبنائه يتعرض لكل المفاجآت مفسحاً في المجال أمام الغرباء لكي يتصرفوا بالترجمات وفق غاياتهم. "ليس بالامكان إنجاز أية ترجمة أو أي تقييم لترجمة دونما اعتبار لوضعية المترجم"<sup>٩</sup>. والتاريخ الثقافي حافل بالامثلة على استخدام الترجمة لترويج مقولات ومفاهيم معينة. ما أكثر ما يستغل المترجمون الغرباء هذه الوسيلة لفرض ذهنية خاصة تتطابق ومراميمهم بدءاً باختيار النص الذي يشكل الخطوة الاولى على طريق التأثير الثقافي. أفليس من الامور التي تثير الاستغراب أن يقتصر الاختيار على نصوص أدبية ومتفرقات خالية من الفعالية دونما تطرق لاية مواضيع علمية حساسة كأنما المقصود إلهاء المجتمعات النامية وحرمانها من

٩ Alexis Nouss, La Traduction n'est pas une application : réponse au professeur Dasgupta, in Meta, XXXIX, 2, 1994, p. 395.

وسائل المنافسة العلمية ومن القدرة على الابتكار والخلق والتقدم والتحرر من التبعية.

أكثر من ذلك الا يظهر اختيار النصوص بما فيها من موبقات نوايا المترجمين في إيهام من يتوجهون إليهم بأن المدنية والاباحية الاخلاقية متلازمتان، كأنما المقصود في هذا المجال أيضا هدم الحصون الاخلاقية التقليدية وتفكيك المجتمعات بتقويض قيمها العائلية والدينية والقومية الاصيلة، ناهيك بما يعقب الاختيار من تحوير في المفردات وتبديل في معانيها بين لغة وأخرى حرصاً على تمييزها وعدم تعارضها، أقله في الظاهر، مع الذهنية السائدة في البيئة الجديدة.

هناك وثائق عديدة تختلف معانيها بين لغتها الاصلية ولغة الترجمة. وقلما تظهر الابحاث أن هذا الاختلاف ناتج عن مجرد خطأ في الترجمة لا إرادي بريء ومنزه عن النوايا السيئة. بل خلافاً لذلك إنه غالباً ما يكون مقصوداً ومعبراً عن أهداف مبطنة أو جلية. في الترجمة يحدث الخطأ طورا بسبب الجهل وأطواراً لأسباب أخرى متعددة قاسمها المشترك خيانة الاصل أو غموض متعمد أصلاً كذلك الذي لم تنته فصوله بعد في نص القرار ٢٤٢ بالانكليزية "عن الاراضي المحتلة" الذي أتاح ترجمتين بالفرنسية والعربية مع "ال" التعريف أو دونها، أو كذلك الذي ساد في النص الانكليزي الذي أعد سلفاً

لمؤتمر النمو والاسكان في القاهرة مؤخراً (٥ - ١٣ أيلول ١٩٩٤) في القول "الاجهاض القانوني أو الشرعي" بحيث تدفع جميع المجتمعات إلى المطالبة بهذه القانونية وهذه الشرعية وينجم عن هذا الموقف إقرار مبادئ جديدة.

إزاء هذا الواقع المريك لا بد من الحذر والتنبيه لما تنطوي عليه الترجمة من مخاطر لا سيما تلك التي يقوم بها الغرباء ويعجز المحليون عن رقابتها. حتى الاستشراق الذي لا مجال لانكار فوائده الجمّة، لا سيما إسهامه في تحقيق النهضة العربية، يثير الشكوك من حيث دوافع الذين قاموا به واهدافهم. ألم يكن إحدى وسائل الهيمنة الثقافية الغربية ؟ صحيح أنه كشف كنوزاً كانت دفينّة في تراثنا. لكنه بذلك أثار في طريقة فهمنا لذواتنا وتراثنا وأقنعا بمفاهيمه الثقافية ومقاييسه الانسانية العامة. وهو لا يزال حتى اليوم يوهنا بصواب نظرتة إلى الانسان ويقنعا بمثالية مدنيّته كما يظهر كل يوم عبر مختلف وسائل الاعلام وكما ظهر جلياً في مؤتمر القاهرة. عبر الاستشراق تمكّن الغرب ليس فقط من فهمنا بل من التحكم بفهمنا لذواتنا ووعينا لشخصيتنا. وما يزال يسعى بتوجيهاته إلى المزيد من السيطرة على ذهنيّتنا. لا ننكر على الغرب حق تعريفنا على ذاته وتعرفه على ذاتنا. فالمعرفة حق الانسان أينما وجد.

١٠ وثيقة الامم المتحدة : 171/L.1 /conf.

13 May 1994

Arabic

في الفقرة البديلة 8 - 25 : الف



لكن التحكم بالمعرفة عبر الترجمة والاعلام مسؤولية كبيرة وخطيرة. والتحصن أمام الغزو الاعلامي بالمراقبة الذاتية والتوجيه السليم واجب هام يناط بالمسؤولين عن ثقافة كل مجتمع واعلامه.

بعيدا عن مركبات النقص، لا يظنُّ أحد أن الترجمة عيب وصغار. بل هي فعل تقارب إنساني وخير تعبير عن الاخوة البشرية في تاريخ المسار الحضاري المعاصر. "الترجمة بمعنى الكلمة المحصري والمهني تمثل فعلاً أساسياً، بل الفعل الاعمق أساساً في هذا المنتصف الثاني من القرن العشرين".

### موقفان من الترجمة مضران

أمام هذا الواقع الخطير الذي، عبر وكالات الانباء الكبرى كالاسوشييتد برس ورويتير وفرنسبرس، يؤهل الغير للتحكم بمعارفنا وبصياغة قناعاتنا دونما خيار حر من قبلنا، ليس الحل في أن ننغلق على ذاتنا ونرفض المدنية الغربية بكافة وجوهها ومبتكراتها، كما لا يكمن الحل في تناسي خصوصياتنا والاستسلام للمقولات الغربية والانجراف بتيارات التغرب.

من المؤسف أن تأخذ مجتمعاتنا العربية موقفين متطرفين ونقيضين من الترجمة وعبرها من التعاطي مع المدنية المعاصرة. والموقفان يسيئان إلى مصالحنا الجوهريّة : إلى قدرتنا على التطور وإلى وفائنا لاصالتنا. إذا ما أمعنا في واقع المجتمعات العربية بشكل عام نرى أنها تعاني اليوم من حدة الانقسامات بين دعاة الرجوع إلى نقاوة الاصول والاقلاع عن زيف المدنية المعاصرة ورفض كل ترجمة عن الغير مهما كانت أهمية النص المترجم، ودعاة التحرر من التقاليد على أنواعها والتجدد في ضوء المبتكرات العصرية وترجمة كل ما يصدره الغير دونما رقابة أو تحصن بقيم تراثية مكينة. الامثال على الاضرار التي تنتج عن هذين الموقفين النقيضين عديدة.

على صعيد الموقف المبدي من الترجمة أولاً. إن رفض كل ترجمة على أنها تغرب عن الذات وتنكّر لاصالتها لاشبه بالتقوقع والانغلاق والانكفاء الطوعي عن ركب الحضارة الآخذ في جمع شمل البشر على اختلاف مشاربهم وأعراقهم وكافة انتماءاتهم. إنه لا قرب إلى الانتحار الثقافي البطيء منه إلى صيانة الذات من موبقات المدنية الغربية التي يتبارى اعلاميو العصر في الترويج لها والانصياع لمقتضياتها.

بالمقابل ان الانصراف الكلي للترجمة والاستعاضة بها عن أي بحث أو تأليف ذاتي لغربيّة عن التراث وانقطاع عن الجذور وارتهاق لنتاج الغير وارتقاء

في التبعية التي تؤول عاجلاً أم آجلاً إلى ضياع الشخصية والذاتية وإلى الذوبان في اللاتميز. لا مجال لذكر كافة الاضرار التي تنتج عن التطرف في اعتماد أي من هذين الموقفين. تكفي الإشارة إلى أن الخطر يكمن في الاكتفاء بموقف دون الآخر بينما التقدم يقوم على تصحيح موقف بالثاني والنفاذ إلى موقف جديد متكامل يأخذ ما صحَّ في كل منهما ويهمل ما شطَّ وأساء.

على صعيد الاساليب المعتمدة في الترجمة ثانياً. إذا ما تأملنا في قضية الاصطلاحات العلمية وترجمتها مثلاً، لرأينا أن البعض يختار السهولة ويقتبس اللفظ الافرنجي والاعجمي ويعرِّبه كما هو باضفاء صيغ عربية على حروفه الاصلية مثل قولنا البيولوجيا والغراماطيق والتلفون والتلفاز والفيزياء والبنك، بينما يفضل آخرون الرجوع إلى الاصطلاحات العربية القديمة واسناد المعاني الجديدة إليها غير أبهين بأهلية هذه الاصطلاحات للتعبير عن المعاني الجديدة وبإمكانية قبول الناس واعترافهم بدلالة هذا الاسم القديم أو ذاك على المضمون الجديد.

قد يكون الاسلوبان صالحين لا سيما أن كليهما في النهاية تعريب. الاول تعريب لللفظة ومضمونها على السواء. شرعيته ترتكز من جهة إلى رواج الشيء باسمه في لغة الشعب الذي اخترعه، ومن جهة ثانية إلى رأي البعض

مثل جول ماروزو Jules MAROUZEAU في "امكان تصوّر تدويل نسبي للاصطلاحات لان معظمها ذو أصل علمي ومنشأ يوناني - لاتيني"<sup>١٢</sup> علماً بأن الافضل في أنواع هذا التعريب العديدة هو "الاستيعاب" الذي يلبس الكلمة الاجنبية قالب الصيغة العربية الاصيلة فيسبك "اللفظ المعرب في قوالب العربية بحيث يغدو ملكاً لهذه اللغة، تصرّفه وفق ابنيته وتشتق منه ألفاظاً لمذلولات جديدة"<sup>١٣</sup> بالامكان أن نورد مثلاً لفظة فلسفة اليونانية الاصل. أما الاسلوب الثاني فيمكن اعتباره تعريباً هو أيضاً وإن يكن بمعنى مجازي لانه تعريب للمضمون الجديد فقط وإبدال لملته الاجنبية بحلة عربية عريقة كي لا يبقى دخيلاً على اللغة العربية ويبتتها.

بيد أن في الاسلوبين تقاعساً عن بذل الجهود الآيلة إلى الترجمة الناجعة. صحيح أن اللجوء إلى الاسلوب الاول تبرره ظروف القصور العلمي المرحلي عند العرب ومقتضيات الاعلام الذي يشيع استخدام الالفاظ الدخيلة لا سيما على صعيد المبتكرات العصرية في الصحف والاذاعات التي تتوجه الى الشعب بكافة طبقاته. لكن هذا الاسلوب لا يفي بشروط التواصل الحضاري بين الماضي والحاضر. بل انه يسهم بانسلاخ الناس عن تراثهم وهويتهم ويانسياقهم

١٢ جورج مونان، المسائل النظرية في الترجمة، ترجمة لطيف زيتوني، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٤ - مقدمة

الترجم. ص ١٠ - ١١.

١٣ لطيف زيتوني، المرجع نفسه ... ص ٣٩ - ٤٠.

وراء تيارات الحداثة غير المتميزة والزائفة. كذلك صحيح ان اللجوء الى الاسلوب الثاني تبرره إرادة الحفاظ على التراث والتجذر. الا ان من يعتمده يفوته "ان المترجم لا يترجم للفهم بل للافهام." ليست غاية المترجم ان يحقق الاتصال بين النص الاصيل واللغة التي ينقل اليها، بل غايته ان يحقق هذا الاتصال بين النص الاجنبي وقارىء الترجمة. لهذا يمكننا ان نلوم خليل مطران، مثلاً، حين استخدم في ترجماته لمسرحيات شكسبير ألفاظاً عربية غير متداولة في زمنه، وإن كانت من الناحية المعجمية صحيحة جداً<sup>١</sup>. ومن هذا المنطلق نفسه، اذا كان مبرراًً توجيه هذا اللوم إلى خليل مطران في ترجمة شعرية فما عسانا نقول لمترجمين اعلاميين معاصرين ينسون طبيعة اللغة الاعلامية وأهدافها فينقلونها بمفردات صعبة وتراكيب معقدة ؟

في الاطار نفسه تجدر الملاحظة أنه مع بزوغ فجر النهضة وتزايد تأثير المدارس والصحف، اشتدت الحاجة إلى الترجمة وتنوعت موضوعاتها وتشعبت فنونها وازداد عدد المشتغلين بها، فكثرت لذلك الالفاظ الدخيلة وشاع استعمالها في الصحف وعلى اللسان وما زالت تكثر وتشيع بلا ضابط أو قياس حتى خشي الغياري منها على اللغة. واذ كثر الكلام على لغة العصر وكثر الدخيل فيها، عكست الصحافة الصدى، فظهرت فيها كتابات تحمل على

١٤ جورج موران، المرجع نفسه ... ص ٢٢.

الدخيل والمعرّب وحملت مقالات أخرى ردوداً على أسئلة القراء في هذا الموضوع<sup>١٥</sup>.

ولا يقتصر الانقسام على الموقف من الالفاظ الدخيلة وتعريبها. بل يتخطى هذه الظاهرة إلى الموقف من الاسس السياسية التي تركز عليها الترجمة فاذا بالانقسامات تعنف بين القائلين بالاصالة والقائلين بالحدثة. ويزيد من حدة هذه الانقسامات بين أنصار الاصالة ورفض الاستعمار الثقافي وأنصار الحدثة والذويان الثقافي، الاتهامات المتبادلة تارة بالخيانة والعمالة والارتهان وطوراً بالتزمت والرجعية ومعاكسة التطور فضلاً عما ينتج عنها من عنف ومحاولات للاستيلاء على السلطة والهيمنة على المجتمع، ناهيك بالفقر الذي ينتج عن الانغلاق الثقافي ورفض الاتصال الاعلامي بالغير. كذلك الامر بالنسبة إلى فقدان الذاتية والتوازن الذي ينتج عن فوضى الانجراف في تيارات التغرب على أنواعها.

والمألوف ابان هذه الانقسامات أصبح التدخل الغريب وإذكاء النار بين الاخوة المتناحرين. فبينما ينقم الفريق المتشدد باسم الاصالة على المصالح الغربية في البلاد ويناصب أهلها العداة الذي لا يقف عند حد وإن قاده ذلك إلى

والقتل يتطلع الفريق الآخر إلى ما وراء الحدود مستجدياً دعماً باهظ الثمن غير متوان عن الارتباط بالتزامات وارتهانات مكلفة، أثناء ذلك يقوم الاعلام الغريب ومترجموه بدور لافت معمقاً الشرخ محدثاً الفتن دافعاً إلى التخاصم والاقتتال فالتدمير الذاتي، ويغلف كل ذلك طبعاً بالحرص على إبراز الاخبار الصحيحة والتعليقات المتحررة ومشاعر التعاطف الانساني باسم الانفتاح وتمتين العلاقات الثقافية ونشر المعرفة والاخبار الصحيحة. واعراباً عن الاهتمام والتقدير الانساني، تفرد محطات الاذاعة ووكالات الانباء العالمية قنوات خاصة توجهها إلى المستمعين والمشاهدين في منطقتنا بحيث تنقل إليهم بلغتهم الام الاخبار التي تشاء ووفق المخططات التي تعمل على انجازها والتوجيهات التي يهملها نشرها. وتبث بينهم الدعايات التي تخدم مصالحها.

ولئن كان ممكناً في ما مضى الحؤول دون هذه التأثيرات الخارجية فإن تطور وسائل الاعلام وانتشار محطات البث والالتقاط عبر الاقمار التي تجوب الفضاء زارعة وحاصدة "الشاردة والواردة" غازية كل إنسان في عقر داره وفي أعماق ضميره، إلى ما هنالك من تجييش لآخر مبتكرات العلم والتقنية الحديثة في خدمة الحملات الدعائية على أنواعها، كل ذلك جعل الرقابة الاعلامية ومقاومة الترجمات المشبوهة والتحصن بوجه المعارف المدسوسة والمؤذية من المهمات المستحيلة لان المدنية المعاصرة جعلت الحواجز تسقط والعوازل

تخترق والمحرمات تنتهك.

أما دور الترجمة في هذا الغزو الاعلامي فخطير جداً. هي وسيلة النقل والتأثير المعتمدة. الترجمة وجه من وجوه الانفتاح الحضاري. التقاعس عن القيام بها يعني الانغلاق على الذات والانسلاخ عن مسيرة الحضارة العامة في العالم. بل أكثر من ذلك، انه افساح المجال واسعاً أمام الغرباء لسد الثغرة الحاصلة وملء الفراغ بما يتنافى والقيم والتقاليد الذاتية. ولئن كان الاكثار منها مجدياً فإن الاكتفاء بها والاستسلام لها دونما رقابة أو عودة إلى الذات ضياع وخطب عشواء في أرض مجهولة يحدد معالمها الغرباء ومصالحهم.

### الترجمة واجب على العرب أنفسهم

نحن في العالم العربي اليوم في حاجة ماسة إلى مزيد من التراجم لنلحق بركب الحضارة المتقدم. "إن الترجمة تؤدي دوراً كبيراً في تطوير اللغة العربية وتطويرها بحيث تكتسب المرونة التي تتمتع بها اللغات الحية، وتتزود برصيد وافر من المفردات وفنون التعبير، والمفاهيم، ينقل الانسان العربي من مرحلة تلخيص الكتب الاجنبية أو ترجمتها إلى مرحلة التأليف والابداع



الحقيقي"<sup>١٦</sup>. لا شك أن الترجمة وسيلة تثقيفية هامة، تؤدي طبيعياً إلى التعريب. والتعريب ينمي لغة العرب وثقافتهم، يوفر لهم مصطلحات جديدة كما يفتح أمامهم قطاعات جديدة في مسيرة التقدم العامة فضلاً عن البحث والتأليف والاسهامات الثقافية الذاتية التي يشجعهم عليها.

يقول أ.د. صالح بلعيد (جامعة تيزي وزو - الجزائر) مشيراً إلى مقال لعبد الكريم ناصيف في أهمية الترجمة ودورها في تطوير الاجناس الادبية، ومرتكزاً على ما يحققه مكتب تنسيق التعريب في الرباط :

"إن الترجمة اكتسبت أهميتها لأنها :

- ١- محرض ثقافي يفعل فعل الخميرة الحقازة في التفاعلات الكيماوية.
- ٢- تجسّر الهوة القائمة بين الشعوب الارفع حضارة والشعوب الادنى حضارة.
- ٣- هي الوسيلة الاساسية للتعريف بالعلوم والتقانة "التكنولوجيا".
- ٤- عنصر أساسي في عملية التربية والتعليم.
- ٥- هي الاداة التي يمكننا بها مواكبة الحركة الفكرية والثقافية في العالم.

١٦ . أ. د. ملكة أبيض، المرجع نفسه ص ١٥.

٦- وسيلة لاغناء اللغة العربية وتطورها وعصرنتها<sup>١٧</sup>.

ثم يضيف : "الترجمة هي نقل كامل للفكر من لغة إلى أخرى، وبها تحدث الثقافة، وهي التقارب بين الثقافات، وقد كان العرب أسبق الشعوب إلى استخدام الترجمة أداة للتواصل ... والترجمة تطوير الاجناس الادبية والمسائل العلمية حتى غدا لكل علم مصطلحه، فأغنت اللغة العربية بصيغ جديدة، وبالتعابير المناسبة، وما اشتكى ذلك العصر من التعبير عن مستجداته، فحصلت الترجمة الفاعلة أولاً ... ثم الترجمة لبعث علمي ثانياً ... وفي العصر الحاضر بات أمر الترجمة من ضرورات التقاء اللغات، وهي التي تسعفنا في سد الخلل في ثقافتنا وممارستنا، وهي التي تحسّر الهوية بين تخلفنا وتقدم غيرنا ..."<sup>١٨</sup>.

لكن الاستزادة من الترجمة يجب الا تتم على حساب ثقتنا بذواتنا وقيمها وفرادتها وبقدرتنا على الابداع والخلق، ولئن كان لدى الآخرين ما يمكننا ترجمته والافادة منه، فإن لدينا أيضاً ما يمكننا ترجمته للآخرين من تقاليد وقيم إنسانية عريقة. المهم أن نكون نحن المترجمين فلا ندع الغير يستخدم الترجمة

١٧ صالح بلعيد، الترجمة والمصطلح العلمي، في مجلة "التعريب" العدد السادس - كانون الاول ١٩٩٣ ص ١١.

١٨ صالح بلعيد، المرجع نفسه ... ص ١٢.

للهيمنة الثقافية علينا. أقل واجباتنا أن نتمكن من رقابة الترجمات التي يقوم بها الغير ويوجهها إلى مجتمعنا.

قد تظهر الترجمة بأنها تبعية. لكنها تبعية لا بد منها للمجتمعات النامية التي تفتقر إلى وسائل العلم والتكنولوجيا الخلاقة. "إذا أخذنا في الحسبان الركود الثقافي الطويل الذي أصاب الأمة العربية، وتسارع المنجزات الثقافية في المجتمعات الصناعية المتقدمة، عرفنا حجم الجهود التي يقتضيها التعريب في هذا المجال، لردم الهوة بين ما نملك، وما نحتاج إليه"<sup>١٩</sup>. إذا كان التعريب ضرورة قومية لا سيما على الصعيد العلمية والتكنولوجية فضلاً عن المجالات الاعلامية الملحة، فإن الترجمة السبيل الصحيح إلى التعريب لا سيما تلك التي يقوم بها العرب أنفسهم، مما يستدعي امتلاك مترجميهم للغات الاجنبية امتلاكاً وافياً يؤهلهم لفهم ما استعصى من العلوم والافكار على أنواعها في مراجعها ومصادرها الاصلية، بحيث يستطيعون بعد ذلك نقل ما يقتنعون به إلى التراث العربي والتعبير عنه تعبيراً مبسطاً ومفيداً. للعرب كما لكل إنسان الحق في الاطلاع على نتاج الانسانية الثقافي والافادة منه. إلا أن الاطلاع على ما يبثه الاعلام لا يعني التسليم حكماً بكافة مضامين هذا

١٩ أ.د. ملكة أبيض، المرجع نفسه ... ص ١٥.

القدر غريبة هذه المعلومات وإخضاعها للنقد والشك ومن ثم أستيعابها واعتمادها منطلقاً وحافزاً للإبداع.

لا شك أن للترجمة دوراً أساسياً في مسار الاستلحاق الثقافي هذا لا سيما على الصعيد التكنولوجية والعلمية. إن كان التعريب مقدمة للتأليف فهو يرتكز على الترجمة. بها تتأمن جرعات المنشطات للجياذ التي كبت في حلبة السباق الثقافي. لا تعريب يجدي دون ترجمة تسبقه وتعدّ له السبيل بل توأبه وتمده بالغذاء الدائم. "التعريب يتطلب - ولا سيما في بدايته، الكثير من الترجمة لتلبية حاجة المدرسة والمعهد والجامعة من الكتب والمراجع، والتعريف بالحضارة الحديثة في جميع جوانبها. وهذا يؤدي بدوره إلى إغناء المعرفة، ورفي العلم، وتنمية الثقافة، أي إلى التنمية الثقافية بصورة عامة"<sup>٢٠</sup>. في هذا الاطار من الواقعية والحكمة يتضح أن الترجمة انفتاح على الانسان لا بد منه للاغتناء بكل ما هو انساني وإن كان لدى الغير. خير لنا أن نترجم بإرادتنا ما نعتبره ثروة إنسانية عامة لا بد لنا من الاطلاع عليها والإفادة منها لنواكب الحضارة. ذلك أفضل لنا من ترجمات يفرضها الغير علينا ولا نستطيع التحقق من مطابقتها للاصول.

٢٠. أ.د. ملكة أبيض، المرجع نفسه ... ص ١٥.

نحن بحاجة إلى العلم وإلى إعلام نشيط مستنير قادر على التحقق من صحة الاخبار وعلى انتقاء المعارف التي تتلاءم وشخصيتنا. العلم، كما تحدده المعاجم، "إدراك الشيء بحقيقته" أما الاعلام فالعمل على جعل هذا العلم بمتناول جميع الناس بوسائل مختلفة، منها المقروء والمسموع والمرئي ... وعليه لا بد للاعلامي الذي يطمح إلى نقل الحقيقة وإيصالها إلى الناس من أن يدركها في صفاء جوهرها، منزهة عن كل تشويه أو تحريف. لذلك يفترض به ما يمكنه إلى ذلك سبيلاً، أن يستقي الاخبار من مصادرها الاساسية بحيث يصبح مرجع ثقة في ما يتعلق بها، قادراً على التنبيه إلى ما يحتويه غيره من المراجع من أخطاء ومغالطات. من هنا تنبع حاجتنا إلى معرفة العديد من اللغات لا سيما العالمية منها والتي تتداول بها الاخبار وكالات الأنباء الرئيسية.

أوليست الترجمة نقلاً للمعنى والعبارة من لغة إلى أخرى ؟ نحن بحاجة إلى المعاني ولكن للحصول عليها لا بد لنا تعلم اللغات للقدرة على الترجمة. و"اللغة هي رؤية للعالم Une vision du monde وليست أداة عمياء للتعبير. إنها مبدأ فاعل يفرض على الفكر جملة من القيم. فكل نظام لغوي يتضمن تحليلاً للعالم الخارجي خاصاً به ومختلفاً عن تحليل سائر الانظمة اللغوية"<sup>٣٧</sup> مما يزيد في صعوبة الترجمة ويظهر أهميتها في التأثير على

٢١ لطيف زيتوني، المرجع نفسه ... ص ٣٧.

المجتمعات ويفسر تضارب المواقف منها بين دعاة الاصاله ودعاة الحداثة.

حاجتنا في العالم العربي اليوم إلى التواصل بين الثقافات ضرورة حتمية. حسبنا التأمل في ما يجري حولنا وبيننا من حملات إعلامية لندرك حاجتنا إلى إعلاميين عرب ثقة يتقنون اللغات الاجنبية ويستطيعون الترجمة إلى العربية ومنها بطلاقة وسهولة. أرضنا وخيراتها محط أطماع وأنظار. والخطر من ذلك أن عقل إنساننا عرضة لغزو إعلامي دائم بحيث تعباً ذهنيته ليس فقط بمستجدات علمية وتقنية لا بد منها للحاق بركب الحضارة العالمية، بل بقيم مزعومة أخطر ما فيها أنها تتغلغل في أعماق كياننا ولاوعينا محدثة انفصاماً في شخصيتنا بين ما هو موروث وما هو مكتسب، بين الاصاله والحداثة. والتطرف في الاثنتين موقف سلبي يحكم علينا إما بالفقر وإما بالضياع الاكيد.

الاصالة المنغلقة تؤدي إلى العزلة والتخلف عن الشعوب المتمدنة. والحداثة المتهافتة وراء الصرعات المستجدة تنكر للجذور وانقلاب على الذات إلى الزيف والهباء. الحل يكمن في الانفتاح على العالم بأسره في إطار من الوفاء للذات والاصول ومن الحركة الدينامية المتحررة من العقد على اختلاف أنواعها ومصادرها. العزلة انكار للذات مهما علا شأنها. وتبعية الغير انحلال وملاشاة

للذات. الترجمة دواء لمجتمعنا، لكن دواء يؤخذ دون مراقبة الطبيب الحكيم قد يكون قاتلاً. دعونا نحكم العقل في ما نترجم إلى تراثنا فنعي مجتمعنا بما يناسبه دونما تقليل من أهمية الابداع والخلق الذاتي والوفاء لجذورنا وأصالتنا.

وأخيراً أسمح لنفسي في ضوء ما تقدم بإبراز بعض التوصيات :

- ١- إلزام كافة الطلاب الجامعيين وفي كافة الاختصاصات باتقان لغة أجنبية عالمية واحدة على الاقل إلى جانب إتقانهم البديهي للغة العربية.
- ٢- إدخال مادة الترجمة والتعريب في مقررات الاجازات الجامعية كأن يفرض على طالب العلوم النجاح في مقرر ترجمة العلوم وتعريبها وعلى طالب الآداب النجاح في ترجمة تناسب اختصاصه.
- ٣- إنشاء هيئة عربية عليا (مؤسسة، مجمع الخ) للثقافة والاعلام ترتبط بالالكسو وتكون مهمتها التقاط الاخبار العالمية وبثها معرفة لكافة المجتمعات العربية فضلاً عن بثها أخباراً عن هذه المجتمعات موجهة إلى مختلف أقطار العالم بلغات أجنبية متعددة.
- ٤- تشجيع المؤسسات الاقليمية والقطرية والافراد على إنشاء كليات ومعاهد ومدارس للترجمة وعلى دعم الموجود منها حالياً.
- ٥- التخطيط لترجمة المؤلفات الهامة في العالم إلى العربية.

ومدارس للترجمة وعلى دعم الموجود منها حالياً .

٥- التخطيط لترجمة المؤلفات الهامة في العالم إلى العربية.

٦- إنشاء موسوعات ومعاجم لغوية متطورة لمواكبة التقدم العلمي وترجمة المصطلحات العلمية المستحدثة بشكل منظم ومستمر.

٧- الدعم المادي والمعنوي للجهود التي يبذلها الافراد انجازاً لترجمات مفيدة على الصعيد الثقافي العربي.

وفي الختام لا بدّ من الاشارة إلى أن فعل الترجمة ينطوي على إيمان بالانسان عميق، وإيمان بالحرية والتعددية الحضارية أساسي للقبول بالآخر واحترامه في غيريته. من هذا المنطلق قد تكون الترجمة من وإلى العربية التزاماً بإغناء الانسان أينما كان وبالاغتناء بكل ما هو انساني، دونما عقد ومركبات نقص. وعلى هذا الاساس قد تكون السبيل الاسلم لمواكبة الحضارة والحافز الاكبر على الخلق والابداع. ويقيني أن العرب لن يتقاعسوا عن إداء هذا الواجب القومي والانساني على أحسن ما يكون الاداء.



## المراجع

- ١- لطيف زيتوني، حركة الترجمة في عصر النهضة، دار النهار، بيروت، ١٩٩٤.
- ٢- عبد القادر زياديه، دور الاسلام والعربية لغة وثقافة في تكوين مقومات القومية العربية وفي بعث الوعي القومي العربي، في كتاب القومية العربية والاسلام، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨١.
- ٣- أ. د. ملكة أبيض، تعريب التعليم العالي : تنمية لغوية وثقافية، في مجلة "التعريب" السنة الثالثة، العدد الخامس - حزيران ١٩٩٣.
- ٤- Alexis Nouss, La Traduction n'est pas une application : réponse au professeur Dasgupta, in Meta, XXXIX, 2, 1994.
- ٥- وثيقة الامم المتحدة : A/conf. 171/L.1  
13 May 1994  
Arabic
- ٦- Daniel Blampain, Avant-propos, Meta XXXIX, 1, 1994.
- ٧- جورج موانان، المسائل النظرية في الترجمة، ترجمة لطيف زيتوني، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٤ - مقدمة المترجم.
- ٨- صالح بلعيد، الترجمة والمصطلح العلمي، في مجلة "التعريب" العدد السادس - كانون الاول ١٩٩٣.